

(الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)

## الأصوليات ومسائل التحقق والمعصية والوجوب والمخالفة

عبد الرحمن السالمي

لم يعد ممكناً مواجهة ظواهر التشدد في الإسلام المعاصر بالطريقتين اللتين تعارفنا عليهما خلال العقد المنصرم: بالقول تارة إن الإسلام بطبيعته يأبى الغلو والتطرف، وبالقول تارة أخرى: إن سائر الديانات في العالم تشهد وعياً متأزماً وانشاقات لا تختلف في قليل ولا كثير عما نعرفه في قلب ديننا وعلى حواشيه منذ عقود.

بالنسبة للأمر الأول، أي سماحة الإسلام في أسسه العقدية، وتجربة الأمة عبر التاريخ، لأن المتشددين من جهة لهم تفسيراتهم وتأويلاتهم العقدية التي لا يقبلها جمهور عريض كما أن التجربة التاريخية للأمة مع دينها، ومع العالم من حولها، تعرضت لمتغيرات كبرى في السياقات الحديثة والمعاصرة بحيث يصعب القياس إن لم يكن متعذراً.

أما الأمر الثاني، والمتعلق بظواهر التشدد أو العنف في الديانات الأخرى التوحيدية وغيرها، فإن هناك فوارق بارزة لا يصح إهمالها.

فالديانات الأخرى تختلف عن الإسلام في الأصول، كما تختلف في التنظيم الديني، كما أن العنف الداخلي والعنف تجاه الآخر أقل حجماً وظهوراً، وأخيراً فإن المقاربات والمعالجات لديهم، نتيجة التمايزات التي ذكرناها كانت لها تأثيرات وفعالية لا نستطيع مقارنة تأثيرات مقارباتنا بها فعالية ونفاذاً.

إن أول ما ينبغي التنبيه إليه في الشأن الإسلامي، أن مشكلة التطرف عندنا تتخذ أبعاداً كبيرة، بسبب ضخامة حجم الدين والأمة وامتداداتها الجغرافية والثقافية والديموغرافية، فقبل أشهر لاحظت إحصائية فاتيكانية أن عدد المسلمين أكبر من عدد الكاثوليك بحوالي المائتي مليون، والواقع أن الفروق العددية أكبر من ذلك بكثير لكن الأهم أن التنظيم الديني مختلف بين المسلمين والكاثوليك اختلافاً شاسعاً وليس في العقيدة والتاريخ فقط، بل وفي الحاضر أيضاً، فالأصل عندهم قائم على المؤسسة الهرمية وفيها، بينما هو عندنا في (الأمة) ولديها، وهو ليس ذا طابع عقدي، ولسنا نريد هنا متابعة المقارنات، بل المقصود

أن هذا الحجم الهائل يوسع من حدود القضايا والمشكلات والتي لا يكفي في التصدي لها الركون إلى التوحد العقدي ثم إنه سواءً أَرْضِينَا عن التَّنْظِيمِ الفَضْفَاضِ أم لم نَرْضَى؛ فإن التغيير والتبديل باتجاه المركزية لم يعد ممكناً ولا متاحاً الآن، فضلاً على أنه ما حدث من قبل.

إن التصدي للمشكلة يكون بالبداية في تغيير الوعي بالأوضاع الإسلامية والعالمية إذ إن أبرز أسباب التشدد الإحساس لدى مجموعات واسعة من المسلمين أن الدين والأمة يواجهان أخطاراً ماحقة وأنه لا بد من مواجهة هذا العالم المعادي بالمزيد من التشبث بأهداب الدين، ومن ضمن هذا الوعي الذي يخالف الواقع أن الإسلام ينحسر بالداخل الإسلامي أيضاً ولابد من نصرته الدين وإحكام قبضته على الناس، وقد نجم عن هذا الوعي بالأخطار الداخلية والخارجية: في الداخل ظهور جماعات تريد من خلال النبذ والتكفير والدولة الدينية إلى وضع كثرة من الناس خارج حظيرة الإسلام أو داخلها بحسب فهمها بالقوة، وفي الخارج أو تجاهه: إقدام مجموعات أيضاً على شن حرب على العالم بحجة الدفاع عن الإسلام الذي يتعرض للهجوم، وقد كان من نتائج ذلك المبادرة لشن حروب على المسلمين تحت اسم مكافحة الإرهاب.

والواقع أن هذه التطورات وكما سبق القول جرت وتجري في الوعي وليس في الواقع، فالإسلام في الداخل عزيز وقوي ويزداد عزة وقوة، ثم إنه انتشر في المهاجر، وظهرت له قوى وجاليات في سائر أنحاء العالم بحيث لا يمكن الحديث عن انحسار من أي نوع فالمسلمون موجودون اليوم -وبقوة- في نواحي ومجالات ما كانت معروفة لهذا الدين في أي حقبة من حقبة تاريخه، أما الهجمات من الخارج فليست أكثر ولا أقوى من أي فترة سابقة، وقد كان المسلمون يواجهون تلك الهجمات بدون مقاييس ولا سياقات ولا ثوابت في العلاقات بين الأمم والأديان أما اليوم فإن هناك سياقات وثوابت لا يمكن لأحد اختراقها بسهولة.

لا بد إذن من تغيير الوعي الذي خلخلته وأزمته صدمات الحداثة والعصرنة، وأزمته أيضاً القلقل في النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة ولا يمكن تصحيح الوعي وتحريره من التأزم إلا من طريقين: النهوض القائم على التنمية والاستقرار ووجود النخب الملتزمة والعارفة بأوضاع المسلمين وأوضاع العالم، والحق أن النقص واضح في الأمرين لكن أعباء القيام بذلك لا تُقَارَنُ بالأعباء الناجمة عن العنف والتشدد والتطرف والانشقاقات.

قال صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الصحيح: (إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) هذا التشبيه الجميل والبالغ والمعبر من جانبه صلوات الله عليه يقول: إن الذي يريد قطع مسافة في خمس ساعات وهي لا تقطع في العادة إلا -في ثلاثة أيام إنما يهلك ناقته ونفسه ولا يحقق هدفه، وكذلك الأمر مع التطرف بداعي الغيرة على الإسلام، فالوعي الخاص بأن الإسلام ليس بخير بالداخل ولا مع الخارج ينتهج سلوكات تشق العصا، وتزيد

من أعداء الدين خارج الأمة، وبين هذين الأمرين، وفي مجال الوعي بالذات ينبغي أن تقع جهود علماء الإسلام ونخبه الجديدة.

\*\*\*\*\*